

الصهيوني بحثا عن الدليل وعن المعرفة حول الشرق (والشرقيين) وما يراه ويلسون - وفي هذا الصدد ما يراه الغربي بوجه عام - في الشرق الاوسط يراه من منظور صهيوني . فاسرائيل هي المعيار ، والاسرائيليون هم الحضور ، وأراؤهم ومؤسساتهم هي الاراء والمؤسسات الوطنية على الاصالة : اما العرب فهم بغيضون ، والفلسطينيون واقع شبه خرافي (وتذهب الحجة الى انهم في الاساس واقع دعائي) وهكذا . وتنسى الاصول الاسرائيلية : انها ببساطة ديمقراطية غربية تهاجم الان بلا مبرر تماما من جانب العرب المعادين للسامية ، وفي الحقيقة فان قلب الاوضاع كامل هنا . وهذا هو النجاح الاكبر لما اشرت اليه انفا على انه الممارسة الصهيونية لعملية نشر « الحقيقة » . وبعبارة اخرى فان ملاحظات ويلسون عن العرب ليست مفتقرة الى الدقة ، انما هي دقيقة جدا كتسجيل حرفي - بدرجة او بأخرى - لما يعتقد الاسرائيليون (كمتعمريين - غربيين يعيشون في منطقة متخلقة) عن العرب ، وعن عاداتهم « البدوية » ، وما الى ذلك . ولكن التجاهل الكامل هو ان المرء ينسى ان العلاقة بين الاسرائيليين العرب ليست حقيقة من حقائق الطبيعة ، وانما هي نتيجة عملية نوعية محددة من التشريد والطرده ، والعزل العنصري الاستعماري القائم على الامر الواقع . وبالإضافة الى هذا يميل المرء الى نسيان ان الصهاينة كانوا قادمين الى فلسطين من اوربا .

وجهة نظري هي ان كتابات مثل كتابات ويلسون يمكن ان تؤخذ على انها الرمز الكامل لواقع سياسي فيما اسميه المسار المشترك للديمقراطية الليبرالية الاميركية المتنورة . انه الاندماج المهيمن التام بين النظرة الليبرالية الغربية في الامور والنظرة الصهيونية - الاسرائيلية . وانني استخدم كلمة الهيمنة (بكل اصدائها لدى غرامشي) ★ عن قصد . ذلك ان غرامشي - وهو يوضح احد معاني الهيمنة عزا اليها فكرة القبول . وبعبارة اخرى فان هناك هيمنة ليس فقط بمحض السيطرة ، وانما بالقبول ، بالاذعان . وكما يبين مثلا نيبور ويلسون ، كان في منتصف القرن العشرين توحيد مقصود بين المنحى الليبرالي الغربي - والصهيونية . واسباب هذا كثيرة (وربما هناك حتى تبرير مقبول له) ولكن المعنى الحسي لعلاقة الهيمنة هذه كان مدمرا بالنسبة للفلسطيني العربي . وهنا فان الكلام لا يحتمل معنيين ، ان التوحيد بين الصهيونية والليبرالية في الغرب كان يعني انه ما دام العربي قد طرد وشرذ من فلسطين ، فانه قد أصبح نكرة لان الصهيوني نفسه أصبح الشخص الوحيد في فلسطين ، بقدر ما لان

★ انطونيو غرامشي A. Gramsci مفكر ايطالي اشتراكي بارز من مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي الاوائل . « المترجم »